تاريخ الإرسال: 2019/01/24 تاريخ القبول:2019/01/29

أهمية علم العقيدة في تأصيل المناهج الجامعية

The Importance of Belief's science, in consolidating of significance Curriculum's University

د. محمد ورنيقي د. العطري بن عزوز
Mohamed Ouarniki Ben Azouz Elatri
ouarniki2007@yahoo.fr noredine1994@gmail.com
جامعة عمار ثليجي الأغواط Amar Thelidji University- Laghouat

الملخص:

تعالج هذه الدراسة دور العلوم الإسلامية في الحفاظ على هوية وبناء المجتمع الإسلامي، وقد ركزت على علم العقيدة باعتباره قطب الرحى في إصلاح العلوم الإسلامية، ولذا كان البحث موسوما بـ:" **أهمية علم العقيدة في تأصيل المناهج الجامعية وتحقيق التكامل المعرفي**" في محاولة للوقوف على الدور الريادي لهذا العلم في إعداد وتأصيل المناهج الجامعية بكل تخصصاتها من أجل تحقيق تكامل العلوم ، والوقوف على مظاهر القصور وفقدان الفاعلية، حيث يلاحظ أن هذه العلوم تخلت عن وظيفتها في جانبها العملي، وأضحت مجرد معارف نظرية ليس لها تنزيل واقعي أو تغيير فعلي في مجال تطوير العلوم وتقدم المجتمع.

وقد قسم البحث إلى مبحثين، تناول المبحث الأول: مفاهيم ومضامين علم العقيدة من حيث التعريف والأهمية وعلاقة علم العقيدة بالعلوم الشرعية. وتناول المبحث الثاني دور علم العقيدة الإسلامية في تأصيل المناهج الجامعية من خلال التعرف على معنى تأصيل المناهج الجامعية والدور المحوري الذي يلعبه علم العقيدة في التكامل بين العلوم كلها، ثم تحدثت الدراسة عن خطوات تفعيل دور علم العقيدة في القيام بوظيفته الفاعلة، مع الإشارة إلى بعض المعوقات وسبل تجاوزها، وتأتي الخاتمة متضمنة نتائج البحث وتوصياته.

الكلمات المفتاحية: العقيدة–الهوية – المناهج – الجامعية–المعرفة – التأصيل

Abstract:

This study examines the role of Islamic sciences in the preservation of the identity and build an Islamic society, has focused on science

doctrine as a millstone pole in the reform of Islamic science, so the search is marked by: "The importance of science doctrine in the origination of university curricula and to achieve integration of knowledge" in an attempt to stand the leading role of this science in the preparation and rooting university curricula in all specialties in order to achieve the integration of science, and identify inefficiencies and loss of efficiency, as is noted that these sciences abandoned her job in the practical part, and become merely theoretical knowledge does not have to download a realistic or actual change in the development of science and the progress of society.

The research was divided into two sections, the first section dealt with: concepts and content knowledge of doctrine in terms of the definition and the importance of science and the relationship of doctrine and Forensic science . And taking the second topic the role of knowledge of the Islamic doctrine in the origination of university curricula through identifying the meaning of rooting university curricula and the pivotal role played by the science of doctrine in integration of the whole of science, and then talked about the steps to activate the role of the science doctrine in doing his job effectively, with

reference to some of the obstacles and ways overcome, and come the conclusion, including search results and recommendations.

Keywords: Creed - Identity – Methodologies /or Curriculum - University -Knowledge – Root, significance,

مقدمة:

كما هو معلوم أن العقيدة الإسلامية نابعة من الوحي الإلهي ، فلا تكاد تخلو آية قرآنية من الحديث عن العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وربط تصرفات الإنسان بعقيدته باعتبارها قطب الرحى التي تدور حولها أحكام الدين الإسلامي، وكل الانحرافات التي نعاني منها في سلوكنا راجعة إلى الانحراف في التصور العقدي، الذي غالبا ما يكون تقليديا أو نابعا من خلفيات معينة ، بعيدا عن النظرة العلمية الدقيقة و الفهم الواعي الصحيح لمقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية ، وطبيعة المرحلة التي يعيشها المسلم في كل عصر ، والتي تستلزم اليقظة والفهم المقاصدي .. تجنبا للمواجهة التي تكون عائقا ومانعا من تحقيق

الأهداف المرجوة، فلذلك كانت الضرورة ملحة لإصلاح وتجديد المناهج الجامعية لكي تحقق أهدافها ومقاصدها وفق رؤية كونية تكاملية تعمل على تنمية المجتمع وتطويره وفق مراد الله تعالى.

إشكالية البحث:

إن بناء حضارة المجتمع يعتمد على أبنائه وخاصة الطلبة الجامعيين منهم، لأن المثقف والمتعلم يدرك أهمية بناء الحضارة في تطور المجتمع ورقيه وبالتالي سعادته، ولعل أهم وسيلة للوصول إلى تلك الأهداف هي إصلاح المناهج وفق رؤية تساير متطلبات المجتمع، ومن أهمها منهاج العلوم الإسلامية الذي هو بمثابة روح المجتمع وصمام أمان يحميه من رياح التغيير والتحولات الحاصلة في العالم اليوم، والتي تستهدف بالأساس عقيدة المسلم.

وأن علم العقيدة له دور كبير في إصلاح وتأصيل المناهج الجامعية وتحديد مسارها لتحقق أهدافها التنموية والتربوية والحضارية وفق رؤية تكاملية، ومن هنا نحاول أن نقف على طبيعة المشكلة والحلول المناسبة لها من خلال الحديث عن مفهوم علم العقيدة وأهميته في تأصيل المناهج الجامعية وتحقيق التكامل المعرفي بينها،

- ولذا فالإشكالية تتمثل في محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة: ماذا نعني بعلم العقيدة؟
- ما أهميته؟
- ما علاقته بالمناهج الجامعية؟
- وما المقصود بتأصيل المناهج الجامعية وكيفية التأصيل؟ ما هي المعوقات وسبل تجاوزها؟

أهداف البحث: يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1. بيان أهمية تأصيل المناهج الجامعية في تنمية وتطور المجتمع
2. التعرف على دور علم العقيدة في إصلاح منظومة العلوم الشرعية.
3. تعزيز مكانة علم العقيدة وحضوره الفاعل في تأصيل المناهج الجامعية.
4. الكشف عن مواطن القصور والثغور في منهاج العلوم الإسلامية.

5. بيان الحاجة إلى تخريج الكفاءات العلمية المتخصصة المستوعبة
6. تفعيل دور العلوم الشرعية في بناء الإنسان الذي يساهم في بناء حضارة العلم والإيمان
7. العمل على تطوير المنظومة التربوية الجامعة المؤصلة.
8. تقويم الدراسات المعاصرة بصورتها الواقعية والمأمولة.
9. التعرف على المعوقات التي تحول دون تفعيل دور العلوم الشرعية وسبل تجاوزها.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي والوصفي، من خلال المبحث الأول الذي تضمن علم العقيدة والمناهج الجامعية من حيث المفاهيم والمضامين واعتمدنا في المبحث الثاني على المنهج النقدي التأصيلي، بقراءة فاحصة وناقدة للمشكل مع إعطاء رؤية عملية بديلة ومقترحة، ذلك لأن طبيعة الموضوع يستدعي أن تكون هناك رؤى واضحة وفاعلة قابلة للتطبيق في الواقع.

خطة البحث:

خطة البحث مقسمة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولنا في المقدمة طرح الإشكالية وأهداف الموضوع ومنهجه وخطته، وفي المبحث الأول تحدثنا عن تعريف علم العقيدة وأهميته وعلاقته بالشريعة والفكر ومن ثم صلته بالمناهج الجامعية وفي المبحث الثاني تناولنا المقصود من تأصيل المناهج الجامعية ومناقشة هذا المفهوم مع بيان أهمية التأصيل المنطلق من مبادئ العقيدة الإسلامية، وقد ذكرنا الخطوات العملية لتفعيل تأصيل المناهج الجامعية، مع الإشارة إلى المعوقات وسبل تجاوزها، وأنهينا البحث بخاتمة تناولت أهم النتائج والتوصيات .

المبحث الأول: علم العقيدة، مفاهيم ومضامين

تمهيد: تساهم العلوم الإسلامية في بناء المجتمع فكريا وتربويا ومعرفيا وحضاريا، فهي التي تصونه من الانحرافات وتسطر له السبيل الذي يسلكه لتطويره وبناء حضارته، ومن العلوم الإسلامية علم العقيدة الذي يربط الإنسان بخالقه، ويعمل على تحفيز طاقته الفكرية

الكامنة نحو التأمل والتفكر في الكون والاعتبار بالآيات الكونية والقرآنية، وتربط العلم بالإيمان برباط تكاملي وثيق، ومن هنا يبدأ تقدم المجتمع وتحضره بالمفهوم القرآني، وهو بناء الحضارة والعمران حسب مراد الله تعالى.

المطلب الأول: تعريف علم العقيدة

أولا: المفهوم اللغوي

العقيدة من العَقْد: عَقَدْتُ الحبل أي ربطته ووثقته، وعَاقَدْتُهُ أي عاهدته، وعُقْدَةُ النكاح إحكامه وإبرامه، واعْتَقَدْتُ كذا أي عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل: العَقِيدَةُ ما يدين الإنسان به. وله عقيدة حسنة أي سالمة من الشك[1].

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي

هي الأمور التي يجب أن يُصَدَّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يدخله ريب، فالعقيدة في الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل، وجمعها عقائد.

فمن النّاحيةِ الاصطلاحيةِ: تُستعمل لفظة "العقيدةِ الإسلامية " للدّلالةِ على: "الإيمان الجازِم باللهِ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته، وأسمائِه وصفاتِه، والإيمانِ بملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، والقدر خيرِه وشرِه، وبكل ما جاءت به النصوص الصّحيحة من أصولِ الدينِ، وأمورِ الغيب وأخبارِه.

والعقيدة الإسلامية لها مفهوم إيماني عملي، فالاعتقاد الذهني النظري لا يمثل العقيدة الإيمانية

إلا إذا اكتمل بما يؤدي إلى العمل الصالح قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ}**[2] .

فهو علم يبحث في القضايا المتعلقة بالإيمان بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وسائر المسائل الاعتقادية التي أقرها العلماء، فهو يهتم بدراسة أصول الدين والأحكام القطعية، ويحدد العلاقة بين الخالق والمخلوق، ومصير الإنسان، وله أسماء عند علماء العقيدة منها: التوحيد، الإيمان، أصول الدين، والفقه الأكبر.

المطلب الثاني: أهمية علم العقيدة

تكمن أهميته في كونه يشكل الجانب النظري من الدين الإسلامي، فهو القاعدة الأساس التي يضبط بها المسلم حركته في هذه الأرض، ويوجه سلوكه وأعماله، وبه يفهم الإنسان سر وجوده وماهيته ومهمته ومصيره ويفهم طبيعة علاقته بخالق الكون.

أولا: علاقة علم العقيدة بالشريعة

القصد من توضيح هذه العلاقة هو معرفة الارتباط الوثيق بين العقيدة النظرية وحياة الإنسان العملية لأنها في الواقع هي تحديد علاقة الأصل بالفرع، أو علاقة البناء بالأساس ، فلا يستقيم البناء بدون أساس، ولذلك كل حركات الإنسان في البناء والعمران التي يقوم بها في هذه الحياة، لا تصلح ولا تحقق الغاية من وجوده ما لم تبن على الأساس العقدي، الذي يحدد وجهتها ومسارها، فالشريعة التي هي الأحكام العملية التطبيقية كالصلاة والزكاة والصيام والحج والمعاملات المالية والأخلاقية وغيرها ، كلها يراد منها عبادة الله تعالى ، وبناء العمران حسب مراد الله تعالى ، ولا يتم ذلك إلا إذا كانت صلة الإنسان بالله تعالى صحيحة على أسس متينة ، ويتحقق ذلك بفهم علم العقيدة وتطبيق أحكامه كما وردت في القرآن والسنة ، وهذه الآية الكريمة قد حددت العلاقة بين العقيدة والشريعة ، قال تعالى :(**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وبذلك أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**)[3].

ثانيا: علم العقيدة قائم على النظر والفكر

مما هو معلوم أن الله تعالى وهب الإنسان العقل ليهتدي به إلى تحقيق مراد الله تعالى، ومراد الله تعالى هو عبادته عز وجل قال تعالى: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)**[4] – وعمران الأرض قال تعالى: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**)[5] فالعقل هو الوسيلة التي نتوصل بها إلى تتبع الآثار الدالة على الخالق ﷻ وإبراز البراهين على صدق العقيدة الإسلامية، غير أن دور العقل لا يتجاوز عالم الشهادة الذي هو من اختصاص الوحي الذي يعرفنا بالخالق وأسمائه وصفاته ، كما يعرف الإنسان بحقيقته وطبيعة دوره في الحياة ومصيره المحدد، فعلم العقيدة قائم على

العلم والاقتناع ثم الإيمان والتصديق. والقرآن الكريم تضمن الأدلة العقلية والحجج المنطقية السليمة.

فعلم العقيدة يعتمد على العقل البشري في التفكير والتأمل في الكون، فهو أداة هامة في ترسيخ الإيمان وتثبيته في النفوس، ورسم المنهج الذي يتعامل به مع تطور حياة الإنسان، فالتفكير في وضع مناهج تعليمية في الجامعات، القصد منه تطوير المجتمع وتنميته وترقيته وبناء حضارته المرتبطة بخالق الوجود، فلذلك نود أن نحدد العلاقة بين علم العقيدة والمناهج الجامعية والمقاصد التي يمكن تحقيقها.

ثالثا: العلاقة بين العقيدة والمناهج الجامعية

دور المدارس والمعاهد والجامعات عظيم في مجال صياغة تأصيل المناهج وتصنيف العلوم وتطبيق مضامينها في شتى التخصصات ، بحيث يلعب علم العقيدة الدور الفعال في تبسيط العلوم لتناسب وتركيبة عقول الطلبة لتحقق أهدافها بوضوح وفاعلية ، مع التركيز على قدر أكبر على التطبيقات لأجل حل رموز كل الاختراعات التي نتعامل معها ، فالقرآن الكريم تضمن تفسيرات لكثير من الحقائق العلمية التي أثبتها العلم الحديث ، غير أن القرآن يحاول أن يربطها دائما بالعقيدة الإسلامية ، عكس المنهج السائد اليوم في الجامعات والمعاهد ، حيث لا نجد هذا الربط الواقعي ، وما نراه هو أن العلوم تقدم للطلبة على هيئة مركبة معقدة في الغالب لا يتجاوب معها الطالب، لعدم انسجامها مع الفطرة الإنسانية المؤسسة على العقيدة الإسلامية ، فالعلوم والمعارف لا يمكن أن تبني الحضارة بمفهومها الحقيقي ما لم تتكامل مع بعضها بحلقات متصلة ومتواصلة ، تحت رقابة الإيمان الذي يحدد مسارها ، فدروس العلوم والمعارف التي تقدم للطلاب، لا تكون مثمرة ونافعة للمجتمع الإسلامي ما لم توازيها دروس في العقيدة الإسلامية، على اعتبار أن العقيدة هي حلقة الوصل بين جميع العلوم، حيث تنتهي في نهاية المطاف عند التوحيد الخالص.

رابعا: واقع المناهج الجامعية:

يجب الاعتراف بقصور المناهج الحالية عن تحقيق الجودة المنشودة في خريجي الجامعات. كالقدرة على الفهم والمقارنة والترجيح والتحليل والتركيب، ومن المؤسف حقا أن

تكون المناهج الجامعية عاجزة عن تخريج الكفاءات العلمية المتخصصة المستوعبة، سواء كان ذلك في العلوم الإنسانية أو العلوم الدقيقة، وتبعا لذلك يكون البحث العلمي التربوي هو المدخل الأسلم لمراجعة هذه المناهج، باعتباره المؤسس لموضوعية التقويم وسلامة الرؤية الاستشرافية لمستقبل مناهج التخصصات الجامعية.

لا يختلف اثنان أن جامعاتنا تواجه صعوبات ومشاكل لتلبية رغبات المجتمع في تطويره وتنميته ، ولعل من الأسباب الرئيسية أن الجامعات العربية على الخصوص أنشئت في أجواء العلمانية وترسخ فيها مبدأ فصل العلم عن الدين، ومنذ ذلك الوقت والجامعات العربية فقدت بوصلة الاتجاه ، وانقلبت الوسيلة إلى غاية، فأصبحت هذه الوسائل مطلوبة في ذاتها وغاب عنا الهدف المطلوب من العملية التعليمية الذي هو الحصول على العلم والمعرفة بصورة متكاملة، وكوسيلة لمعرفة الخالق وتطوير المجتمع والرقي به إلى درجات التقدم والنهضة وبناء الحضارة كأهداف عامة ضمن أهداف جزئية تتمثل في تنمية الإبداع والوعي والوصل بين المعرفة النظرية والمعرفة التطبيقية من أجل تشكيل المعرفة المرتبطة بالسلوك في عملية جدلية لا تتوقف .

وهذا الواقع يشخصه لنا الفاروقي بقوله : " انظر إلى المثل الأعلى للمدرس في الجامعات في العالم الإسلامي، أعنى الأستاذ الحاصل على الدكتوراه من إحدى الجامعات الغربية ...لقد تعلم في الغرب وتخرج بمعدل متوسط أو دون المتوسط، ولما لم تكن دوافعه دينية ، بمعنى أنه لم يطلب العلم ابتغاء مرضاة الله جل وعلا ، بل لأهداف مادية أنانية أو قومية على أحسن تقدير فإنه لم يحرص على نيل كل المتاح من العلوم في الغرب ، ولم يستطع أن يتفوق على أساتذته الغربيين في مجالاتهم ، كما لم يتمثل ما تعلمه ولا حاول بالطبع إعادة تقييمه في إطار الرؤية الإسلامية للمعرفة وللحقيقة على غرار ما فعل أسلافه الذين تعلموا علوم الأمم القديمة من يونان وفرس وهنود وصبغوها بالصبغة الإسلامية ..وبدلاً من أن يفعل ذلك، اكتفي هذا الأستاذ بالنجاح ونيل الدرجة ثم العودة إلى بلده ليحصل على منصب يهيئ له الثروة والرفعة"(6).

فمن أكبر أخطاء دعاة التنوير والغزو الثقافي والمنبهرين بالمدنية الغربية ومناهجها المادية ظنهم: أن الإصلاح في المناهج التربوية والتعليمية في مدارسنا ومعاهدنا

وجامعاتنا هو أن نستمد من الغرب، وأن المسلمين والعرب يجب أن يتخلوا عن كثير من مفاهيمهم في سبيل امتلاك التكنولوجيا، ولكن التجارب المتوالية التي ضاع فيها المال والجهد والوقت برهنت عكس ذلك.

فالمواد والمناهج التي تدرس في البلاد الإسلامية حالياً إنما هي نسخ مما عند الغربيين لكن مع افتقارها للرؤية التي تمدها بالحياة في بيئتها الأصلية، وهي بهذه الصورة تصبح من عوامل الضعف، هذه المواد والمناهج التي لا روح فيها تظل بشكل لا شعوري تؤثر في الطالب تأثيرًا سيئاً معادياً للإسلام من حيث إنها تقف كبدائل للمواد والمناهج الإسلامية وكعوامل للتقدم والتحديث .إنها تجعل من الخريج في جامعات العالم الإسلامي نموذجاً للشباب المغرور الذي يظن نفسه اكتسب العلم مع أنه في الحقيقة لا يعرف إلا قليلاً "[7].

ويمكن أن نلخص الواقع الجامعي فيما يلي:

1) الأساتذة الجامعيون في معظمهم لا تسيطر عليهم الرؤية الإسلامية، وهمهم الوحيد هو تدريس الوحدات التي تقدم لطلبة على أساس أنها مبادئ وحقائق.
2) التناقض الظاهر في محتوى المناهج الجامعية ومبادئ المجتمع ومتطلباته.
3) انفصال العلوم عن بعضها البعض وعدم التواصل بينها، وخاصة بين العلوم المدنية والعلوم الإسلامية. وهذا أهم مشكل تعاني منه الجامعة.
4) عدم متابعة البحوث العلمية، ووضع إجراءات انتقائية للباحثين المتميزين.
5) انعدام ضبط المعايير العلمية لمعرفة الإنتاج الفكري المميز وإنصاف ذويه.
6) قلة وجود جوائز تشجيعية تحفيزية.
7) التوظيف الجامعي للأساتذة، لا يخضع لمعايير علمية دقيقة بمراعاة الخبرة والكفاءة.
8) تبني أساليب إدارية متجاوزة، غالبا ما تعرقل مسيرة البحث العلمي.
9) عدم الاهتمام بالجانب الفني والجمالي من حيث المحتوى المعرفي وطريقة التدريس.

10) الأفكار المبثوثة في المناهج الجامعية قتلت في شخصية الطالب روح العقيدة ومبادئ المبادرة والتحدي وبذور التطور والعلم الصحيح.

11) المناهج الجامعية قائمة على التناقض في المرجعيات، والتشاكس في فلسفة التعليم وغموض أهدافه، وهذا يؤدي إلى التمزق في رقعة التفكير.

المبحث الثاني: علم العقيدة وتأصيل المناهج الجامعية:

تمهيد: حينما نتحدث عن تأصيل المناهج الجامعية فإننا نؤصل لجودة العملية التعليمية والتربوية، وبالتالي جودة العنصر البشري المكون من الطلاب وأعضاء الهيئات الجامعية، وجودة المختبرات والمكتبات وغيرها، وجودة الاكتشافات والاختراعات وما شابه ذلك، ومن ثم جودة الأسس التي يبنى عليها تطور المجتمع وتقدمه وبناء الحضارة، ولأجل تحقيق كل هذه الأهداف لابد من الاهتمام بتأصيل المنهاج، ونعتقد أن عقيدة الفرد تعد أهم عنصر في التأصيل المراد تحقيقه وهو ما أردنا أن نوضحه في هذا المبحث

المطلب الأول: المقصود بتأصيل المناهج الجامعية

الفرع الأول: التأصيل

في اللغة من الأصل: أسفل الشيء، وأَصَلَ: ثبت ورسخ أصله، ومُؤصَّل :اسم المفعول من أصّلَ، وتَأْصِيلُ الشَّيْءِ: جَعْلُهُ ذَا أَصْلٍ ثَابِتٍ · والأصل ما يبنى عليه غيره

الفرع الثاني: المناهج

من النهج وهو الطريق الواضح، والمِنهاجُ :كالمَنْهَجِ، وفي التنزيل: لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجاً. والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ[8].

الفرع الثالث: الجامعية من الجَامِعَةُ: مجْمُوعة معاهد علميَّة، تُسَمّى كُلِّيَّاتٍ، تدرّس فيها الآدابُ والفنونُ والعلومُ[(9)]

أولا: تأصيل المناهج الجامعية

نعني بها أن يكون محتوى المناهج الجامعية يبنى أساسا من مرجعية الدين الإسلامي ولا يتناقض مع ثوابت المجتمع كالدين واللغة وغيرها، إيمانا منا بأن الدين يقدم الحلول لمشكلات الإنسان الآنية والمستقبلية، مع الابقاء على العلوم والمعارف والمناهج الغربية التي لا تعارض العقل والنقل. فالقرآن والسنة هما أصلا العلم وأساسه، والتأصيل هو بيان

الأصل من كتاب الله وسنة رسوله، باعتبار أن العلم والمعرفة أصلهما من الله تعالى، قال تعالى: " **عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**"(10).

فمفهوم التأصيل للمناهج الجامعية يرتبط ارتباطا وثيقا بمبادئ الإيمان بالله تعالى مثل ما هو مرتبط بالمعرفة، بمعنى تأصيل المعرفة يوضع في نسقه الإيماني المؤسس على الاعتقاد بألوهية الله وربوبيته للوجود بما يشمله من الغيب المستور والكون المنظور.

ثانيا: مفهوم التأصيل ومناقشته:

التأصيل الإسلامي كما يقول محمد قطب يختلف عن الأسلمة التي شاع استخدامها في الفترة الأخيرة، لأن كثيرا مما كتب في مجال " أسلمة العلوم " لم يكن تأصيلا إسلاميا حقيقيا بالمعنى المطلوب، بقدر ما كان اعتمادا للمفاهيم الغربية، مع وضع " طلاء " إسلامي عليها، يتمثل في بعض الآيات والأحاديث التي يرى مستخدموها أنها تناسب الموضوع.

فالتأصيل الإسلامي إذن هو الإنطلاق ابتداء من منطلق إسلامي، سواء التقى بعد ذلك في بعض الجزئيات أو لم يلتق مع ما كتبه الغرب في تلك العلوم، فليس القصد الالتقاء لمجرد الالتقاء، ولا الاختلاف لمجرد الاختلاف، إنما القصد على التصور الإسلامي، فمثلا في التاريخ قد نتفق معهم في رصد الظاهرة التاريخية لأنها واقع مشهود لا يختلف الناس في رؤيته، ولكن تفسيرهم للظاهرة المنبثق من رؤيتهم الخاصة، كثيرا ما نختلف معهم فيه ، لأن رؤيتنا مختلفة عن رؤيتهم(11) .

ويقول البعض أن لفظ التأصيل أيضا لا يسلم من النقد على اعتبار أن معناه هو رد الشيء إلى أصله الذي كان موجودا من قبل في صورته الحالية أو في صورة مشابهة لها، بحجة أن العلوم الحديثة بالصورة التي نتعامل معها الآن نتاج حديث، أسهمت الحضارة الغربية في بلورة مناهجه، وفي التوصل الى نتائجه بنصيب، فقد رأى البعض أنه ليس لتلك العلوم الحديثة " أصل" كان موجوداً لدى المسلمين ولكنه اندثر ومهمتنا هي العودة إليه. ولكن نقول ليس بالضرورة أن يكون معنى التأصيل بهذا المعنى الذي فهم عندهم، فالتأصيل يعني الولاء للدين والإيمان بشموليته لجوانب الحياة، وأن الدين يقدم

الحلول لمشكلات الإنسان الآنية والمستقبلية، وأما ما انتجه الغرب فنبقي عليه كما هو، ما دام يتوافق مع العقل والنقل، لأنه نتاج العقل البشري الذي هو خلق الله تعالى.

يتناول الفكر الإسلامي العلاقة بين الإسلام والعلم التجريبي والإشكاليات الفلسفية التي أفرزتها الثورات العلمية في العصر الحديث، وفي هذا المجال يهتم الفكر الإسلامي بكيفية توظيف العلوم الطبيعية لتحقيق التقدم المدني، وكيفية تأصيل العلوم الإنسانية لتحقيق الاستقلال الثقافي[12] .

المطلب الثاني: أهمية تأصيل المناهج الجامعية

مما هو معلوم أن لكل أمة من الأمم أسس وأهداف لمناهجها التعليمية لها مرجعية حضارية تتسم بها، وأمتنا الإسلامية لها مرجعتيها الحضارية المستمدة من الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وتظهر أهمية التأصيل عند النظر في محتوى المناهج الجامعية الحالية وما فيها من اختلاف وتباين وتناقض بعيد كل البعد عن التناسق والتوافق ببين متطلبات المجتمع وأهداف الجامعة ومحتوى مناهجها. ومن هنا تبدو لنا أهمية التأصيل الذي يعيد الثقة للطلاب ويعدهم للبحث العلمي الجاد بدافع قوة فاعلة ذاتية تتمثل في فاعلية العقيدة التي تحقق التفوق والسيادة العلمية ومن ثم بناء حضارة العلم والإيمان.

أولا: تأصيل المناهج الجامعية من منطلق مبادئ العقيدة

تعد الجامعة أهم المؤسسات الاجتماعية التي تؤثر وتتأثر بالجو الاجتماعي المحيط بها، فهي من صنع المجتمع ، وفي الوقت نفسه تقوم بدور صنع قيادته الفنية والمهنية والسياسية والفكرية ، ومن هنا كانت لكل جامعة رسالتها التي تتولى تحقيقها ، والعصر الحديث تتعدد فيه الاهتمامات وتتشابك فيه الأمور ويواجه تغيرات وتحديات مستمرة ، مما يجعل وظائف الجامعة فيه متعددة الجوانب، فمنها المعنوية والمادية ، فالمعنوية هي غرس القيم والأخلاق الدينية والوطنية، والمادية المتمثلة في التحصيل العلمي لتطوير المجتمع وتنميته، وهناك قيمة محورية لتحقيق أهداف الجامعة المادية منها والمعنوية وهي غرس العقيدة في النفوس باعتبارها أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملا في الحياة ، " لقد كان الفيلسوف والمهندس "مالك بن نبي" رائعا في استفادته من مؤرخنا العظيم ابن خلدون حين أبرز ابن خلدون دور النبوّة في صناعة الإنسان

المؤمن الإيجابي. فلا حضارة بدون عقيدة، وبدون إنسان فطري بسيط كعمر بن الخطابﷺ، ذلك المؤمن الحق الذي كان ينام تحت شجرة في الطريق وهو أمير المؤمنين[13].

إذن فمنهج التأصيل للمناهج الجامعية ينطلق من مبدأ سلامة العقيدة، فعلم العقيدة يلعب دور أساسي وفعال في التأصيل للمناهج وتصنيف العلوم المنطلق من محورية الإيمان بواضع القوانين الفيزيائية والطبيعية والرياضية في الكون، وليس الارتباط بمكتشف القانون، وتلقي المعرفة والعلم يجب أن يكون من مصدره الحقيقي اليقيني وهو الله عز وجل، وفي هذا المعنى يقول الشيخ الشعراوي: (. ومن هنا نصل إلى أن العالم لكي يتقدم ويعيش في سلام وأمان. لا بد أن يتبع القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون. وهذه القوانين متكاملة، بمعنى أنك لا تستطيع أن تأخذ من هذه القوانين ما يعجبك وتترك منها ما لا يعجبك. فأنت في هذه الحياة لا بد أن تتعامل مع أسباب الأرض التي تنفعل بك، لأن فيها الرقى في الحياة، وهذه توفر لك التقدم وتوفر لك خيرات الأرض وتوفر لك الاكتشافات العلمية التي تعطيك الرفاهية، وأن تتعامل مع منهج الله في الأرض وهذا يوفر لك الحياة الآمنة المطمئنة، ويوفر لك الأمن والأمان، ويعالج أدواء المجتمع التي هي آفة البشرية كلها)[14] .

ثانيا: خطوات تفعيل تأصيل المناهج الجامعية

يبدأ التأصيل أساسا من نقطة محورية جوهرية هي غاية وجود الإنسان المتمثلة في أمرين عبادة الله تعالى والإستخلاف في الأرض كما ذكرنا سابقا، فمحتوى المنهاج يؤسس على هذه القاعدة الجوهرية، وهنا يتطلب من واضعي المناهج الجامعية تصنيف العلوم لتحقيق هذه الغاية السامية، التي هي سر نجاح المشروع، واضافة إلى هذه الخطوة الجوهرية هناك خطوات أخرى نلخصها فيما يلي:

1- التوعية بأهمية التأصيل للمناهج الجامعية وتوضيح المبادئ الأساسية لها.

2- إعادة تصنيف وترتيب المفاهيم والأهداف في مختلف العلوم بحيث توافق التصور الإسلامي

3- المعارف العلمية للمنهاج يجب أن يكون مصدرها الوحي أولا ثم العقل والحس ثانيا، فالوحي هو الموجه للمصادر الأخرى التي تدور حوله لأنه يتميز بالثبات والواقعية وهو يستوعب كل جديد في المعرفة وخالي من الهوى والدوافع الذاتية والخيالات الفلسفية، وكل العلوم تتكامل معه.

4- عند وضع وتأصيل المناهج الجامعية يجب مراعاة متطلبات المجتمع وعاداته وتقاليده وإرثه الحضاري الذي يتميز به عن غيره، فهو من ثوابت المجتمع، فمحتوى المناهج يحصن هذه الثوابت لأي ثقافة دخيلة، ويساهم في حل مشكلاته.

5- أن يصمم المنهاج لبناء الطالب الواعي المنتج ويعدل سلوكه لتحقيق الأهداف السامية التي هي غاية وجوده، وهي الاستخلاف وبناء الحضارة ومساهمته في حل مشاكل مجتمعه. بحيث نحقق مجموعة من الأهداف منها:

أ-فهم الإسلام فهما صحيحا بعيدا كل البعد عن مظاهر الغلو والتطرف

ب-غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة وبيان أهميتها في التطور والحضارة

ج-تزويد الطالب بالقيم الإيمانية والأخلاقية والمثل العليا

د-تنمية روح البحث والابداع واكتساب المعرفة والمهارة

هـ-توعيته بدوره في تطوير المجتمع وتنميته.

وفي كل هذه الخطوات نستخدم الأساليب والوسائل المحققة للغايات والأهداف، ومنها:

1- تحديد الأهداف بدقة ووضوح

2- أن تكون الخطوات العملية واضحة بعيدة عن التعقيد

3- أن تكون واقعية وملائمة للظروف التي تعالج فيها المشكلة

4- صفة الشمول بحيث لا يقتصر على متغير واحد

ثالثا: المجالات المعرفية لتأصيل المناهج الجامعية

1- المجال المعرفي المتعلق بالكون وما به من ظواهر وأحداث طبيعية مستمدة من آيات الله القرآنية والكونية، والقوانين المسيطرة على الظواهر.

2- المجال المعرفي المتعلق بالإنسان من حيث نموه الجسمي والنفسي والروحي والعقلي والاجتماعي، وتنتهي المعرفة العلمية بمعرفة إيمانية تعرفه بخالقه.

3- المجال المعرفي المتعلق بالحياة بأنواعها المختلفة من نباتات وحيوانات والعلاقة بينها وعلاقتها بالإنسان، التي يعرف من خلالها أنها مسخرة له.

فكل هذه المجالات المذكورة تنطلق من التصور الإسلامي بوجه متكامل لا يقبل التجزئة، والعقل ينظر لهذه المجالات على أساس أنها ميادين للبحث العلمي تكمل بعضها بعضا، وكل المجالات المعرفية وما تنبثق عنها من علوم ومناهج جامعية تحقق غاية قصوى في النهاية وهي تثبيت عقيدة الإيمان بالله تعالى وتحقيق الخلافة في الأرض بمعنى بناء الحضارة الإنسانية التي يتعايش فيها جميع بني البشر، كما هو موضح في الشكلين:

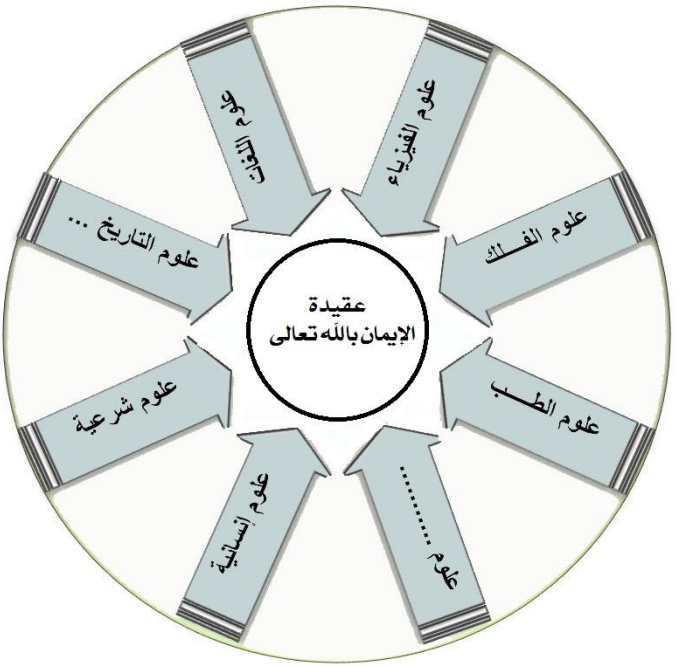

علاقة مناهج العلوم بعلم العقيدة

المطلب الثالث: معوقات وسبل تجاوزها

أولا: معوقات

1- ترسيخ لدى الطلبة فكرة الفصل بين العلوم،

2- مدى تجاوب العمداء والوكلاء والرؤساء لمفاهيم التأصيل ومستلزماته وأهميته وقدرتهم على التطبيق

3- مدى توفر الصلاحيات لمصممي المناهج وممارستهم لهذه الصلاحيات

4- الوعي الدقيق بالإمكانيات الفنية والمادية للجامعة، وكيفية استثمارها

5- كيفية تفعيل التأصيل في واقع التحديات التي تعيشها الأمة الإسلامية.

6- مدى استيعاب هيئة التدريس لمشروع التأصيل وتجاوبهم معه بناء على تكوينهم.

7- الانشغال بالمشكلات الروتينية اليومية وإهمال المشكلات الاستراتيجية

8- عدم تشجيع التفكير الابتكاري إجمالا بسبب سيطرة النمط البيروقراطي في الإدارة.

9- كثيرا ما تتبع بعض الجهات الوصية على البحث العلمي منطق الإقصاء باتباع معايير لا تشجع على الابداع والابتكار، كمن يركز على السنة ويترك الفريضة.

ثانيا: سبل تجاوزها

1. محاولة اقناع الطلبة أثناء الدراسة وفي الملتقيات وكل المناسبات بأن فكرة تعلم العلوم تنبثق أصلا من الدين الإسلامي، وأن العلم والإيمان لا يمكن فصلهما.
2. فكرة علمنة العلوم تحتاج إلى مزيد من الوعي وتصحيح لهذا المفهوم من خلال توضيح أن الإسلام قد حث على تعلم العلوم وفهم سنن الكون.
3. ترسيخ فكرة عقيدة الإيمان بالله ﷻانطلاقا من البحث في العلوم من أجل تحقيق التأصيل
4. لا يختلف عاقلان بأن الأمة العربية والإسلامية لا ينقصها المال لتكون عالة على الآخرين في مجال العلم والتكنولوجيا، ولا ينقصها الموارد الطبيعية، ولا المساحة الجغرافية، ولا العقول المفكرة التي أبدعت حين سمح لها أن تبدع.
5. إعادة الثقة في نفوس الباحثين، ومحاولة التركيز على الأفكار التي يطرحونها وتثمينها وتشجيعها بدل من اتباع منطق الإقصاء والتركيز على الشكليات.
6. أن يولد لدى الجامعات العربية قناعة بأن البحث العلمي هو جزء من ديننا وحياتنا وكياننا وسيادتنا وبدونه لا تقوم لنا قائمة.
7. محاولة الإفادة من الإعلام الجديد بكل فروعه واستغلاله لاسترجاع الوعي بأهمية المناهج المؤصلة انطلاقا من مبادئ العقيدة الإسلامية لتحقيق أهداف الجامعة.
8. إنشاء لجان وورشات عمل حقيقة في كل الدول العربية والإسلامية لتبني هذا المشروع ومحاولة إنجاحه من خلال وضع مخابر بحث جادة وفاعلة.

الخاتمة:

إن اهتمامنا بتأصيل المناهج الجامعية ودور علم العقيدة في بناء المحتوى المعرفي لها ضروري للحفاظ على الثقافة الأصيلة لطلبتنا وتجنب الانحراف والتأثر بالآخر ،

ومحاولة تفعيل دور الجامعة في المجتمع انطلاقا من العلوم الإسلامية هو في حقيقة الأمر تأسيس لبناء حضارة إنسانية يتعايش فيها الجميع ، مهما اختلفت الأديان والأعراق والألوان ، ذلك لأن الرسالة المحمدية هي رسالة عالمية تحمل المنهج القويم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان ، وتنقذ البشرية ممَّا تردت فيه من فساد وشقاء، والمثل العليا التي جاء بها الإسلام لقيام حضارة إنسانية رشيدة بناءة تهتدي برسالة الإسلام الخالدة ، لتحقيق العزَّة في الدنيا، والسعادة في الدار الآخرة ، وأن العلم فريضة إسلامية على كل فرد، مع وجوب نشره وتيسيره في جميع المراحل عبر الوسائل المشروعة والأصيلة .

واليوم نحن في أمس الحاجة لدراسة مثل هذه القضايا الحساسة في خضم صراع الحضارات الذي يتطلب اليقظة والقيام بأعمال ملموسة وعملية لصيانة طلبة العلم وتحصينهم من أجل مستقبل أفضل، وذلك من خلال تكثيف اللقاءات العملية والتكوينية في هذا المجال الحساس ومحاولة تطويع الآليات التقنية الحديثة واستغلالها في عملية التأصيل وتسريع دورها لهدف المشروع الحضاري الإسلامي في تنوير وتحرير عقول الطلبة من القيود المادية، وتأهيلهم للقيام بدورهم الحضاري باستخدام أدوات وآليات العلم والمعرفة.

النتائج:

1- الوحي مصدر أصل المعرفة، فيجب أن تكون العلوم والمعارف لا تناقضه.

2- علم العقيدة، علم ضروري تدرسيه لجميع التخصصات والشعب في الجامعة.

3- تكمن أهمية علم العقيدة في كونه هو الطاقة الفاعلة للطلبة من أجل الابداع والابتكار والتفوق.

4- أن تتكافل جهود الجميع من أجل وضع خطة استراتيجية لتأصيل المناهج الجامعية.

5- اللغة العربية لغة القرآن والعلم والفكر، واللغات الأخرى مساعدة في الترجمة، فلابد من تدريسها لجميع التخصصات وفي كافة الجامعات.

6- يجب تطوير المنهجية العلمية التأصيلية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

الاقتراحات:

1. عقد مؤتمرات وندوات منتظمة ونشر أبحاثها ورقيا وإلكترونيا وترجمتها للغات الحية.
2. تفعيل الموارد المالية من الهبات والزكاة والصدقات لتمويل مشاريع التأصيل بطريقة منظمة.
3. اعتماد التأصيل من ضمن معايير الجودة وإبراز القيم الإيمانية وربطها بجميع التخصصات العلمية
4. أن يكون مفهوم التأصيل للمناهج الجامعية من منطلق المرجعية الإسلامية .

ملحق:

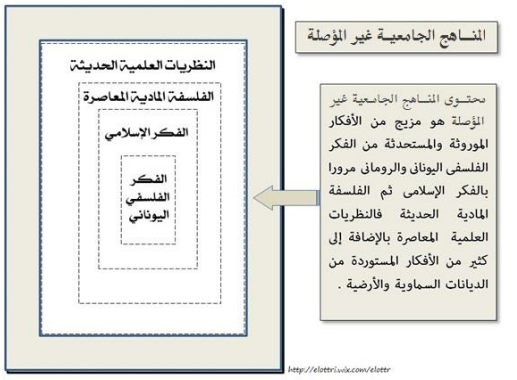

الفرق بين المناهج الجامعية المؤصلة والمناهج غير المؤصلة

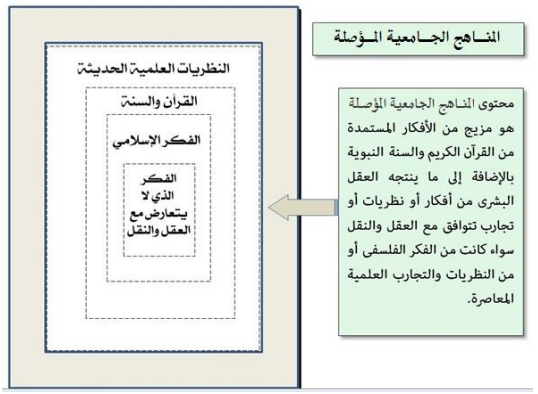

الهوامش والمراجع المعتمدة

(1) الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العصرية، بيروت، 1996، ط:1، ص: 218

(2) سورة يونس 09

(3) سورة الأنعام 162-165

(4) سورة الذاريات 56

(5) سورة البقرة 30

(6) إسماعيل الفاروقي ، أسلمة المعرفة ، تر:عبد الوارث سعيد ، دار البحوث العلمية ، الكويت 1983 ، ص : 19

(7) إسماعيل الفاروقي ، أسلمة المعرفة ، المرجع السابق ، ص : 19

(8) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مج: 2 ، ص : 383

(9) القاموس المعجم المعاصر، مادة الجامعة:

http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

(10) سورة العلق 5

(11) محمد قطب ، المرجع السابق ، ص : 49

(12) محمد عز الدين توفيق ، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، دار السلام، مصر2002، ط:1 ، ص:116 .

(13) عبد الحليم عويس، الروح وميلاد الحضارة، مجلة حراء، ع: 14 مارس 2009، ص: 61

(14) متولي الشعراوي ، منهج الله في الكون ، دار القلم ، بيروت 2000 ، ص: 22